

SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 3، العدد 2، شباط / أبريل 2018

ISSN: 2289-8468

OBJECTION BY THE GRAMMARIANS "CAUSES AND EFFECTS"

الاعتراض عند النحاة " أسبابه وآثاره "

علي حسين أحمد محمد

محمد نور عبد الله

حكيم زينل

الجامعة الوطنية الماليزية

2018 – 1439

ARTICLE INFO

Received 14/2/2018
Received in revised form 15/2/2018
Accepted 22/3/2018
Available online 15/4/2018
Keywords:

الملخص

هذا البحث يتكلم عن الاعتراض عند النحاة من حيث تعريفه، وأسبابه .وكانت له صور مختلفة في ألفاظه، وفي نشأته، وفي أسبابه، فتعددت الآثار الناتجة عنه. فالاعتراضات مبنية على عمق في الفهم وقدرة على التحليل والاستنباط وهي سيمات اتسم بها أصحابها، ولها فائدة كبيرة في إبعاد اللغة عن الجمود والتقوقع، وكثرت الآراء في المسألة الواحدة تتيح الاختيار في الأحكام المتعددة المستنبطة من هذه الاختلافات، وقد حاولت أن أوضح جانباً من هذه الاعتراضات من حيث تعريفها، وبعضاً من فوائدها، وكذلك بسط القول في الأسباب التي أدت إليها، والآثار التي نتجت عن هذه الاعتراضات والاختلافات.

الكلمات المفتاحية: الاعتراض – الخلاف – الأسباب – الايجابية - السلبية

Abstract

The research highlights on the issue of definitions of the terms as well as the causes and effects concept were refuted by grammarians. It was illustrated in different images of the words of its development and causes. The ability of refutation the theory of grammar normally based on the depth understanding and the enough capacity for analysis the deduction; which including the features characterized by the critic. Actually, this kind of refutation ability is a map for having a great benefit in keeping the language itself away from passive status and scallop. The views which regard to the issue allows any multiple choice stated in several sentences was derived from differences pony of views. Thus, the research focuses on the illustration of the terms of definitions which including the extension of reasons that led to that issue.

key words: Objection - Controversy - Reasons - Positive - Negative



مقدمة

إن اللغة العربية قد نمت وازدهرت في عهدها الأول – أي قبل الإسلام – وهي مازالت في حجر أمها (اللغة السامية) أي قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانية، والعبرية، والفينيقية، والآرامية، والأكادية، بقسميها البابلي والآشوري، ثم الآجريتية التي هي لغة قريش نقوش رأس شمرا، فحين حاط الساميون بالجزيرة العربية كان لهذه البيئة أثرها في ألسنتهم و أمداد لغتهم بالكثير مما لم تضمه بيئتهم الأولى التي خلفوها وراءهم، كما كان لمن جاورهم وخالطهم من أمم وشعوب أثر آخر. وقد كان في هذه الرقعة الجديدة اختلاف في الألسن والسبب في ذلك هو اختلاف القبائل النازحة إليها، فكان للحجاز لغة، ولليمن لغة، ثم لكل من اليمن والحجاز لغات لانقسامها إلى قبائل وعشائر، وعلى الرغم من هذه الاختلافات إلا إنها كانت تجتمع تحت راية اللغة العربية. لقد كان لظهور الإسلام أثر ملحوظ في اللغة العربية من حيث أساليبها وألفاظها، فالقرآن أبعدها عن الجفاء والغلظة، كما حول أساليبها إلى العذوبة والسلاسة[1].

إن كتاب الله تعالى هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وخير ما تصرف فيه الأوقات هو تلاوته وترتيله وتدبره وتفهم معانيه وتعلمه وتعليمه والعمل بمقتضاه. وقد شرُفت اللغة العربية، إذ أنزل الله بها أعظم كتبه، ونطق بها أفصح رسله؛ فأصبحت لغة خالدة بخلود هذا القرآن الكريم، ومحفوظة بحفظه؛ فهي بحق لغة مقدّسة، فهذا البقاء إذا أمعنا فيه النظر لم نجد ولن نجد له سببا إلا القرآن الكريم، وسوف يظل محفوظا إلى يوم البعث، قال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكرى وإنا له لحافظون﴾ الحجر الآية 9 . فبسببه أصبحت هذه اللغة الفرع الوحيد من اللغات السامية الذي حافظ على توهجه وعالميته[2].

وانطلاقاً من هذه المكانة السّامقة لهذه اللغة انبرى العلماء الأجلاّء وتسابقوا في العناية بها والذّبّ عنها بالتأليف والتدوين. ومع بداية تطور النحو العربي في أواخر القرن الثاني الهجري ظهرت الخلافات النحوية، وذلك مع ظهور الخلاف النحوي البصري والكوفي والبغدادي، وما نشأ بينها من خلاف في استنباط الأحكام النحوية، أو تخريج المسموع من المنقول.

تناثرت هذه الاعتراضات في كتب مؤلفيها، وسلطت أضواء البحاث على بعض من جوانبها، ومن خلال اطلاعي على بعض الكتب التي ألفت في هذا المجال لاحظت أن العلماء اعترضوا على بعضهم البعض في كثير من المسائل، ومنها على سبيل المثال : 1- اعتراضات أبي حيان على النحويين في التذليل والتكميل، من إعداد منصور عريف

---

[1]- ينظر: فصول في فقه اللغة: ص23.

[2]- ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج 8 / ص190.

عبد الرحمن، وكذلك 2– اعتراضات السهيلي على النحاة، جمعا ودراسة، من إعداد عبد الله آل داود، وهذا الاعتراض هو عمل رصين يقوم على مقابلة الأدلة والحجج، ولا يهدف إلى التتبع المقصود للأخطاء والهنات، بل يهدف إلى بيان المعنى والحقيقة العلمية على وجه الصواب، ونبرز في هذا السياق بعض المصطلحات التي قد تختلط في الاستعمال، ومنها الاستدراكات، والتعقيبات، والاختيارات، وهي في جملتها تصب في مضمون الاعتراض[3].

وينشأ الاعتراض من مخالفة اللاحق للسابق في رأي أو نقل في نسبة أو استدلال أو غير ذلك، ولعل من أوضح الاختلاف في الساحة النحوية الخلاف بين البصريين والكوفيين، ومن أشهر الكتب في ذلك الإنصاف في مسائل الخلاف. وأما الأسباب التي أدت إلى الخلاف والاعتراض بين النحويين واستمرت طيلة فترة التأليف والتصنيف قديما وحديثا فهي أسباب علمية ذات علاقة بمادة اللغة وطبيعة هذا العلم وأدلته الأصلية والفرعية، وما خرج عن ذلك كالأمور العقدية أو المذاهب الشرعية، فتلك مسائل قليلة شد فيها الرأي المخالف، ولم يكن لها تأثير كبير في توجيه المسألة.

تعريف الاعتراض :

الاعتراضات جمع اعتراض، وقد ورد الاعتراض في المعاجم اللغوية بعدة معانٍ منها:

1– المنهج :

قال الفيروز أبادي :"والاعتراض المنهج، قال الصاغائى :والأصل فيه أن الطريق المسلوك إذا اعترض فيه بناء أو غيره كالجدع أو الجبل منع السابلة من سلوكه، فوضع الاعتراض موضع المنع لهذا المعنى[4] .

2– عدم الاستقامة :

قال الأزهري :(واعترض الفرس في رسنه ، لم يستقم لفائدة)[5] .

3– الوقوف في الشيء :

قال الجوهري: (اعترض فلان فلانا: أي وقع فيه وعارضه :أي جانبه وعدل عنه)[6] .

4– الابتداء بالشيء من غير أوله :

قال الجوهري :(واعترضت الشهر: إذا ابتدأته من غير أوله)[7] .

3– ينظر: الاعتراض النحوي عند ابن مالك واجتهاداته: ص21.

4- ينظر: الصحاح، مجلد3، ص1084، مادة (عرض)، تاج العروس: ج 18، ص408، مادة: (عرض) .

5- ينظر: الصحاح، مجلد 3، ص1084 ،مادة :(عرض)، والتهذيب، ج18،ص408 .

6- ينظر: الصحاح ،مجلد 3 ،ص1084،1085 .

7- ينظر: الصحاح ،مجلد 3،ص1084 .

وفي الاصطلاح: تقابل الدليلين علي سبيل الممانعة بحيث يقتضي أحدهما ثبوت أمر، والآخر انتفاءه[8] .

أو هو: رد الحكم النحوي أو وصفه بعدم الاستقامة بحجة نحوية[9] .

وهناك مصطلحات أخرى يكثر دورانها في السياق كالاستدراكات، والتعقيبات، والمؤاخذات، والتنبيهات .

فالاستدراكات : استفعال من (درك)، وهى إما إضافة متممة، أو معدلة للمستدرك عليه،

والإدراك: اللحاق، يقال: مشيت حتى أدركته، وعتت حتى أدركت زمانه، وأدركته ببصري أي رأيته ،واستدركت ما فات وتداركته بمعني، وتدارك القوم: أي تلاحقوا، أي لحق آخرهم أولهم، ومنه قوله تعالى ﴿حتى إدا ادّاركوا فيها جميعا ﴾ [10] وأصله تداركوا .

وفي المعجم الوسيط :استدرك ما فات: تداركه، والشيء بالشيء تداركه به، وعليه القول: أصلح خطأه، أو أكمل نقصه أو أزال عنه لبساً[11] .

ومنها: استدراكات السيرافي علي سيبويه، واستدراكات الزبيدي على سيبويه .

والتعقيبات :هي تتبع عثرات وأخطاء مؤلف أو مصنف ما .

قال ابن منظور: ((واستعقبت الرجل وتعقبته إذا طلبت عورته وعثرته))[12] .

ومثله تعقيبات أبي حيان لابن مالك .

والمؤاخذات: نحو من التعقيبات قال ابن منظور[13] "فأخذه بذنبه مؤاخذةً: عاقبه، ومنه قوله تعالي: ﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾ [14] .

ومنه قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها﴾ [15] .

ومنها: مسائل الغلط للمبرد، وهو رد المبرد علي سيبويه .

والتنبيهات: من نَبِه للأمر تنبهاً، فطن له، ومن نومه استيقظ فهو نَبِه[16] .

8- كتاب التعريفات: 134

9- الصحاح: مجلد4، ص 1582، مادة (درك)، والمعجم الفلسفي: 15

10- سورة الأعراف: الآية 38

11- المعجم الوسيط: ص 291 مادة (درك) .

12- لسان العرب: ج 34، ص3026 .

13- لسان العرب: ج1، ص36 .

14- سورة العنكبوت: الآية 104 .

15- سورة الحج: الآية 48 .

16- المعجم الوسيط: 936 .

ونبهته على الشيء: أوقفته عليه فتنبه هو عليه[17] .

ومنها التنبيه علي حدوث التصحيف للأصفهاني، وتنبيهات ابن بري علي الصحاح للجوهري .

فهذه الكلمات بينها فروق واضحة، وإن تقاربت في بعض الأحيان، فالعلماء لا يستغنون عن هذه الأشياء في تأليفهم لكتبهم وحواشيها ومتونها، كل بحسب سياقه وموضعه، ولو لم توجد في المؤلفات مثل هذه الأشياء لكانت نسخة كسابقها، فهذه الاعتراضات والتعقيبات، والاستدراكات وغيرها ما هي إلا سعياً للتكامل وسداً للفراغ .

أسباب الخلاف

بعد ظهور النحو بسبب ظهور اللحن في البصرة، وظهور الأسباب والدوافع التي أدت إلى نشأة هذا الفن، حيث أنه مر بعدة مراحل بعد زمن أبي الأسود حتى استوى علي سوقه فناً متكاملاً له قواعده وأصوله الذي ينسج علي منوالها . وقد مر النحو بأربعة مراحل، فالمرحلة الأولى هي مرحلة ظهور النحو وكانت بصرية خالصة .

والمرحلة الثانية كانت مرحلة الجدل والمناظرات النحوية التي أدت إلى ظهور الخلافات النحوية في الدرس النحوي بأجمعه، وفي هذه المرحلة كان النحو بصرياً كوفياً، وكان الخلاف فيها علي أشده.

والمرحلة الثالثة، كانت مرحلة انتخاب من آرائهما والمرحلة الرابعة كانت مرحلة تصنيف وتأليف وجمع للمسائل من علماء البصريين والكوفيين والأندلسيين، ولذا أصبح النحو فناً كثير الكتب والمؤلفات والملخصات والشروح .

والخلاف عندما يذكر في النحو فهو لا يتعدي البصريين والكوفيين، الذين أخذوا النحو عن سكان الجزيرة العربية وقبائلها، التي بلهجاتها نزل القرآن، ودار بينهما الخلاف في جل أبوب النحو ومسائله ولم يكن بعدها خلاف ذو بال يذكر، حيت جاء بعدهم أهل بغداد ونحوهم قائم علي ما دار بين البصريين والكوفيين وعلى ما جاء في المذهبين، ولم يكونوا سوى جهة توفيق بين النحو البصري والكوفي، ولذا سموا مدرسة الانتخاب أو المدرسة المزدوجة أو المدرسة التوفيقية[18] .

وأما ما جاء بعد البغداديين من علماء الأندلس ومصر والشام في القرنيين الخامس والسادس وما بعدهما، فلم يكن للخلاف بينهم انتشار، حيث إنهم اتجهوا للتأليف .

وما كانت تلك الثورة العظيمة إلا نتيجة لما كان بين المدرستين البصرة والكوفة من خلافات نحوية، فالبصرة نشأ بها النحو قبل الكوفة بمائة عام تقريباً، وبعد انتقال مركز الخلافة إلى الكوفة، أخد أهل الكوفة النحو علي علماء البصرة، ثم انتهجوا بالنحو ومسائله نهجاً خاصاً بهم، وخاصة علي يد الكسائي، الذي كان له اليد الأولى والطولى

17- الصحاح، ج 6/ 2252 .

18- ضحى الإسلام:298/2، ومدرسة الكوفة:90، والمدارس النحوية لشوقي ضيف: 246 .

في الخلاف بين البصريين والكوفيين وأصبح لكل مدرسة من المدرستين مذهب خاص بها في الخلاف النحوي ، تقوم عليه دعائم مدرستهم .

لكن تطور الخلاف واشتد بظهور مدرسة القياس والتأويل والتعليل في النحو العربي، وتمايزت مدرستا البصرة والكوفة في ذلك، واشتدت حدة الخلافات بينهما إما بتأثير السياسة أو العصبية أو القبلية، أو سعياً وراء لقمة العيش ورغد الحياة، وأصبح الخلاف مادة للتسلية حيناً و لشحن النفوس بالعداء حيناً آخر، وخاصة إذا كانت المناظرات والمجادلات في بلاط الخلفاء والأمراء، وقصة المسألة الزنبورية ليست ببعيدة من ذلك .

إن بداية الخلاف النحوي الواضح، الذي أخذ طابع المنهجية والتنافس الشديد وتمثيل وجهتي النظر للبصريين والكوفيين كانت بدءاً من عهد سيبويه والكسائي، والطبقة الرابعة البصرية والثانية الكوفية، وخاصة بعد أن قرَّب العباسيون الكسائي وتلاميذه، وخصّوهم بتربية أولادهم والإغداق عليهم .

لقد اجتهدا الكوفيون بكل ما يملكون من مالٍ وجاهٍ اكتسبوهما من بني العباس للوقوف ضد البصريين والحط من مكانتهم، مما كان له الأثر الكبير في الوقوف ضد البصريين زمناً طويلاً، والانتصار للكوفيين في المناظرات العلمية في بلاط الخلفاء والأمراء . أما أهم الأسباب الداعية إلى الاختلاف فهي :

أولا : اختلاف النحويين في النظر إلى أصول الصناعة النحوية، من سماع وقياس، وذلك كأن يقدم أحدُهما السماع على القياس، أو العكس، وهذا أحد أسباب الخلاف بين البصريين والكوفيين، وهذه المسألة هي من المسائل الجوهرية في الخلاف، فبعضهم اعتمد على السماع فقط، والبعض الآخر قاس على هذا المسموع(19) .

ثانيا : تعدد اللهجات العربية واختلافها، فضلا عن أنها لم تكن على درجة واحدة من الفصاحة ؛ لأن من القبائل من خالط غير العرب فتأثر بلغتهم، ومنها من سلمت لغتها من الفساد، وأدى هذا الاختلاف إلى اضطراب اللغويين والنحاة في تحديد اللهجة الفصيحة، ومن ثم الاعتداد بها والأخذ منها والتقعيد على ما جاء فيها، فتشدد البعض في الأخذ من بعض القبائل، وتساهل البعض الآخر حتى أخذ الضعيفة والرديئة .

ثالثا : تفاوت النحويين في الوصول إلى الأدلة ولاسيما السماعية منها؛ لاتساع الرقعة المكانية لقبائل العرب وهذا مما يحمل على الاختلاف في الاستقراء و الاستنتاج، فما يصل إلى أبي زيد قد يختلف مما يصل إلى الخليل والكسائي.

رابعا : انصراف النحويين عن العامل الزمني في الاحتجاج، فلغة امرؤ القيس تختلف عن لغة جرير مثلا، فاللغة كائن حي يتطور بجريان الأزمنة، وكل زمان تختلف فيه اللغة عن سابقها، فاللغة جمعت في عصر يختلف عن العصر الذي

19- ينظر: المؤاخذات النحوية: 12، والنحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم: 17 .

عاش فيه رموز المذاهب النحوية أو متأخري النحاة، فوقف النحاة على بعض الألفاظ والصيغ تعود إلى زمن ير محدد المعالم، فحاروا في توجيهها على ما اطرد من قواعدهم[20].

خامسا : تفاوت العلماء في إمكاناتهم الخاصة في طريقة التفكير والقدرة على الاستيعاب والتحليل والاستنباط، والحفظ والاطلاع، فهم لم يجمدوا أمام النصوص بل أعملوا فكرهم ومقدرتهم الذاتية، فكان كل واحد منهم يجتهد ويحلل ويؤول بقدر ما يملك من حس لغوي، وذلك يفسر لنا كلمة المبرد لتلميذه ابن كيسان (هذا شيء خطر لي فخالفت النحويين).

سادسا : اختلاف النحويين في موقفهم من القراءات القرآنية لاسيما الشاذة منها، فردوا بعض القراءات ورموا القراءة لضعف الدراية بالعربية كما وصفوهم باللحن، والسبب في ذلك هو أن بعض القراءات لم تتفق مع القواعد.

سابعا : اختلاف النحويين في الاستدلال بالحديث الشريف، فمنهم من صرح بمنع الاستدلال به، ومنهم من استدل به على قواعد النحو، ومنهم من توسط في قبول الحديث فأجاز بضوابط وشروط.

ثامنا: تأثر كثير من النحاة والصرفيين بالمنطق والجدل، وكذلك اختلافهم في توجيهاتهم السياسية والمذهبية.

تاسعا: الاختلاف في فهم النصوص وتفسيرها- وهذا سبب كبير من أسباب الاختلاف في العلوم جميعها- ويرجع إما إلى غموض ألفاظها،أو تعدد الأوجه المحتملة فيها.[21]

عاشرا: التنغيم، وكيفية النطق أو الأداء:

إن طريقة نطق العبارة يلعب دوراً كبيراً وله أثرٌ واضحٌ ومهم في صياغة المعنى، وتوجيه الدلالة، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة تمنها عليا أن عبدت بني إسرائيل﴾[22]، فهذه الآية يختلف معناها بطريقة نطقها؛ فإذا كانت اللهجة الخطابية مرتفعة فهذا يعني أن في الكلام حذفاً لهمزة الاستفهام، والكلام بذلك إنشائي بهمزة الاستفهام، والتقدير: أو تلك نعمة تمنها عليَّ، وإذا كانت اللهجة منخفضة هادئة كانت الجملة خبرية، والمراد منها التهكم والسخرية؛ أي: إن كان ثَمَّ نعمة فليس إلا أنك جعلت قومي عبيداً [23].

20- ينظر: الخلاف النحوي في بنية النص القرآني في ضوء الدراسات الحديثة. رسالة دكتوراه: جامعة بغداد. ص2.

21- ينظر : نشأة الخلاف في النحو بين البصريين والكوفيين : ص99

22- سورة الشعراء: الآية: 22 .

23- ينظر: الاعتراض النحوي عند ابن مالك واجتهاده: ص21-25.

الآثار الايجابية للخلاف في الدرس النحوي

لقد نتج عن الخلاف بين النحاة البصريين والكوفيين آثار في ساحة الدرس النحوي، وهذه الآثار قد أفادت الدرس النحوي وتركت بصمات واضحة المعالم على اللغة العربية عامة والنحو بصفة خاصة، وهذه الآثار منها ما ظهر في زمن البصريين والكوفيين، ومنها ما ظهر بعد انتهاء عهدهم. كان للخلاف النحوي آثار واضحة المعالم في الدراسات النحوية منها :

أولاً ظهور المناظرات واللقاءات النحوية

كانت هذه المناظرات سمة بارزة بين أعلام البصرة والكوفة، وكان من أشهر هذه المناظرات واللقاءات النحوية بين المدرستين ما يلي :

أ- مناظرة الكسائي وسيبويه :

وهذه المناظرة من أشهر المناظرات النحوية قاطبةً، وهي مناظرة بين عالمين وهما سيبويه رأس مدرسة البصرة، والكسائي رأس مدرسة الكوفة، ودارت المناظرة في قصر الخليفة الراشد، وعرفت هذه المناظرة بالمسألة التي دارت عليها "المسألة الزنبورية "[24] .

ب- مناظرة الكسائي والأصمعي :

كانت كسابقتها في مجلس الرشيد، وهذه المناظرة تدور حول إعراب كلمة في بيت شعر[25] . ج- مناظرة الكسائي واليزيدى :

وهذه المناظرة أيضاً في مجلس الرشيد، وهذه أيضاً من المناظرات التي تدل علي حب الظهور والغلبة والتعصب إلي حد كبير أمام السلطان، ففي هذه المناظرة كان هناك أثر كبير في الدرس النحوي، وهو إعطاء الفرصة للمناظر والمحاور مرة أو أكثر لكي يرجع نفسه، وهذا الذي فعله اليزيدي مع الكسائي[26] .

د- مناظرة المبرد وثعلب في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر اختلف المبرد وثعلب بحضرة الأمير محمد بن عبد الله في مجلسه حول قول أمرئي القيس[27] .

هـ- مناظرة المازني وابن السكِّيت في مجلس المتوكِّل كانت هذه المناظرة حول وزن كلمة "نكتل "[28]

24- نشأة النحو: 53-56

25- خزانة الأدب: 455/4 .

26- معجم الأدباء لياقوت الحموي ترجمة الكسائي، والوفيات ترجمة اليزيدي .

27- أنباه الرواة ترجمة ثعلب

28- طبقات النحويين واللغويين:94/1، وأنباه الرواة: 250/1 .

و- مناظرة المازني في مجلس الواثق، كانت هذه المناظرة بين المازني من البصريين وبعض نحاة الكوفة[29].

ز- مناظرة المبرد وثعلب في مجلس أكابر بني ظاهر، كانت هذه المناظرة حول كتابة كلمة " الضحى "[30] .

ح- مناظرة بين الكسائي و اليزيدي، كانت في مجلس المهدي قبل تولية الخلافة[31] .

ثانياً المجالس اللغوية

من أهم الآثار والنتائج التي تولَّدت عن الخلاف بين البصريين والكوفيين هي المجالس اللغوية، وهي تتسم بالهدوء، وهي أقرب إلي الحق من المناظرات التي تحدث بحضور الأمراء والسلاطين، وينتج عنها ثروة لغوية ونحوية كبيرة، لما كان يثار فيها من مسائل توضح وجهة نظر كل فريق بنوع من العمق والتفكير الحر الموضوعي، بعيداً عن التعصب أو الحدة .

من هذه المجالس :

أ- مجالسة الرِّياشي وثعلب .

ب- مجلس ضم ثعلب والزجاج في مجلس ثعلب .

وكان الحديث يدور حول المبرد وكتابه "المقتضب " ثم تطرق الحديث إلي سيبويه عن طريق أبي موسي الحامض، ثم دفاع المازني عنهم جميعاً[32] .

ثالثاً : ردود النحويين بعضهم علي بعض

ومن تلك الردود :

1- رد المبرد علي سيبويه، المعروف ب"مسائل الغلط "[33] .

2- رد ابن ولاَّد علي المبرد انتصاراً لسيبويه[34] .

3- رد ابن الخشاب علي ابن بايشاذ في شرح الجمل[35] .

الآثار الايجابية بعد زمن المدرستين

29- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: 54/1 .

30- إرشاد الأريب:118/19 .

31- الأغاني/86/18، وأمالي الزجاج: 40 .

32- ينظر: ارشاد الأريب:137/1، وإنباه الرواة:141/3، وطبقات النحويين واللغويين: 157 .

33- ينظر: الخصائص لابن جني: 228/1 .

34- ينظر: مقدمة المقتضب تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة: 12 .

35- ينظر: المرتجل: 22 .

بعد انتهاء عصر البصرة والكوفة، جاء عصر المدرسة البغدادية، وبما أن النحاة كان لهم ميل كبير للخلفاء، والخلفاء يميلون للكوفيين، بدأ النحو في بغداد كوفياً، فكان كل من يتطلع إلي الشهرة والمال يتجه إلي بغداد، مما جعلها مقراً للمناظرات بين أعلام البصرة والكوفة، وضل هذا الحال حتى القرن الثالث الهجري، الذي انتهى بظهور المبرد آخر أعلام البصرة، وثعلب آخر أعلام الكوفة .

وفي منتصف القرن الثالث الهجري أصبحت بغداد هي المجتمع النحوي، الأكثر تفهماً وتعمقاً، وبعداً عن التكلف والعصبية، فكان الخلاف له مذاقاً آخر بين النحاة، وله آثار أفادت الدراسات النحوية منها :

1- ظهور نحاة جدد وتعدد الاتجاهات النحوية بسبب هدوء حدة الخلافات في أوائل القرن الرابع الهجري، والتقاء كل من أعلام البصرة والكوفة، مما أثر في ظهور اتجاهات مختلفة انقسمت إلي ثلاث طوائف، فكان منها من غلبت عليه النزعة البصرية، ومنهم من غلبت عليه النزعة الكوفية، ومنهم من جمع بين النزعتين، وكان لهذا التعدد في الاتجاه النحوي أثر واضح علي تعدد الآراء النحوية، وظهور كتب النحو المختلفة من الشروح و الحواشي و التهذيبات والمختصرات، وكذلك البحث في أصول النحو[36] .

2- ظهور المدرسة البغدادية، وانتشار ظاهرة الانتخاب والانتقاء وهي تقوم بدارسة رأي البصريين والكوفيين وترجح بينهما، أو توافق بينهما دون مفاضلة، أو تخرج برأي جديد يستدرك عليهما، دون التعصب لأحدهما علي الأخر، وتعد مدرسة بغداد هي الأولي في الأخذ بمبدأ الاختيار والانتقاء والترجيح بين الآراء، والتوفيق بينهما، ومحاولة الإتيان برأي جديد منها .

3- انتشار الدراسات النحوية في أمصار إسلامية جديدة كان من الآثار الايجابية في الخلاف بين البصريين والكوفيين وانتشار الدراسات النحوية في عدة أمصار، وكذلك ظهور عدة مدارس اهتمت بالدراسات النحوية علي أثر الخلاف الذي وقع بين نحاة المدرستين السابقتين، مدرسة بغداد، ومدرسة مصر والشام، ومدرسة الأندلس والمغرب .

4- ظهور مصنفات للخلاف بين المدرستين، فقد كان من أبرز الخلاف بين النحاة، هو ظهور المصنفات التي اهتمت بالخلاف ومسائله، سواء ظهرت أيام المدرستين، أو بعدها، وسواء أكانت بين أيدينا أم عرفت من بطون الكتب وسأذكر هذه المصنفات حسب أسبقية وفاة أصحابها :

1- "المهذب" لأبي علي، أحمد بن جعفر الدينوري (289هـ) .

2- اختلاف النحاة لثعلب (291 هـ) .

---

[36]- نشأة النحو : 148-153، 158 .

3- المسائل علي مذهب النحويين فيما اختلف فيه البصريون والكوفيون لابن كيسان (320هـ) ورد فيه على ثعلب .

4- "المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين" لأبي جعفر النحاس (338هـ) وهو للرد علي ثعلب .

5- "الرد علي ثعلب في اختلاف النحويين" لابن درستويه (348هـ) .

6- "الاختلاف" لعبد الله الأزدي (348هـ) .

7- "الخلاف بين النحويين" و"الخلاف بين سيبويه والمبرد "وهما للرماني (384هـ) .

8- "كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين" لابن فارس (395هـ) .

9- "التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" لأبي البقاء العكبري المتوفى (616هـ)، وله أيضاً "المسائل الخلافية " وقيل أنه مقتطع من التبيين .

10- "مسائل الخلاف" لإبراهيم بن عيسي بن محمد الأزدي، المعروف بابن أصبغ وابن المناصف، القرطبي الأندلسي (628)هـ .

11- "الأنصاف في مسائل الخلاف" و "الواسط" لابن الأنباري 671 هـ .

12- "الإسعاف في مسائل الخلاف" لابن إياز (681هـ) .

13- "الذهب المذاب في مذاهب النحاة" ليوسف الكوراني (768هـ) .

14- "ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة" لعبد اللطيف الزيدى علي أرجح الأقوال المتوفى (802هـ) .

5- كثرة كتب النحو :

هذا أيضاً أثر من آثار الخلاف بين النحاة، ويتمثل في كثرة الروايات، والآراء، والتوسع في الجواز وكثرة التأويل، والمبالغة في الصنعة، حتى أصبح هذا العلم من أكثر العلوم العربية تشعباً واتساعاً وأصبحت كل قاعدة من القواعد محوطة بسياج من الخلاف المتشعب .

6- اكتمال صرح النحو والصرف :

كان اكتمال صرح النحو، وتشعب مسائله وكثرة مؤلفاته نتيجة التنافس بين البلدين البصرة والكوفة، وكان ذلك على طورين، الطور الأول علي يد سيبويه والكسائي، وأما الطور الثاني فكان نتيجة وتتويجاً للطور الأول، ولقد شمر الجميع عن ساعد الجد، فأكملوا ما فات السابقين، وشرحوا محل كلامهم، واختصروا ما ينبغي اختصاره، وبسطوا ما يستحق البسط، وهذبوا التعريفات، وأكملوا وضع المصطلحات، ولم يدعوا شيئاً من النحو إلا نظروه، ولا أمراً من غيره إلا وصلوه .وكان نتيجة ذلك أن انفصل النحو عن الصرف، وأول من سلك هذا السبيل المازني، فقد ألف في الصرف وحده، وشق الطريق لمن بعده .

7- الاجتهاد في طلب علم النحو :

كان للمناظرات التي دارت بين أصحاب الطور الأول من الخلاف دور كبير في هذا الصدد فقد كان لها أثرها الفعال، إذ كانت بمثابة الوقود الذي يساعد علي إشعال نار الاجتهاد والدأب علي أشكال ما بقي من مواد هذا الفن(37) .

8- تنوع مناهج التأليف وتيسير النحو :

إن الخلافات النحوية لم تكن للدارس المبتدئ؛ لأنه يحتاج إلي نحو خال من الخلافات التي لا تفيده كمبتدئ، وأن كتب المطولات لا يخرج منها بكبير فائدة، ولقد أحس بعض النحاة بهذا الوضع، فظهرت ثورة كبيرة في مجال التأليف في تيسير النحو وخاصة في زمن مدرسة الأندلس وما تلاها من مدارس، وأول من قام بهذا العمل في تيسير النحو الأخفش الأوسط (215هـ) حيث ألف كتابا سماه "الأوسط" الذي اختصر فيه كتابه المسمى ب"الأوسط في النحو" و "المختصر في النحو" لهشام بن معاوية الضرير (209هـ) و للجرمي (522هـ) مختصر في النحو للمتعلمين، ولابن السراج (316هـ) مختصر في النحو للمتعلمين أيضاً، وابن هشام (761هـ) ألف مختصراً سماه "الإعراب عن قواعد الإعراب"...إلخ لذلك انتبه النحاة لهذا الأمر فعملوا علي تيسير النحو بوضع مناهج جديدة في التأليف استفاد منها كل الدارسين، وأما في العصر الحديث فكان للنحاة في النحو القديم اتجاهات :-الاتجاه الأول : اتجاه نقدي كما فعل الدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه دراسات نقدية في النحو العربي والدكتور مهدي المخزومي في كتابه "في النحو العربي نقد و توجيه" والدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه "النقد العربي نقد وبناء" و الأستاذ عباس حسن في كتابه: "اللغة والنحو بين القديم والحديث".

37- نشأة النحو: 33،34 .

الاتجاه الثاني : اتجاه تيسيري، وتعتبر أقدم المحاولات العلمية لتيسير النحو محاوله حنفي ناصف وجماعته بوضعهم كتاباً أسموه (قواعد اللغة العربية) في أربعة أجزاء[38]، ثم ألف بعد ذلك الأستاذان علي الجارم ومصطفي أمين كتاب النحو الواضح واتبعا فيه الطريقة الاستنباطية بتقديم الأمثلة ومناقشتها واستنباط القاعدة منها، وفي خطوة جريئة أصدر الأستاذ إبراهيم مصطفي كتابه "إحياء النحو" ونشره سنة 1938م وقدم الدكتور طه حسين لهذا الكتاب وأثنى علي مؤلفه وهو الذي اختار له الاسم "إحياء النحو"[39] .

9- التوسع في القواعد :

توسع الكوفيون في الجواز، في حين تشدد البصريون في ذلك لكي تطرد لهم القواعد، وربما يكون بعض ما أجازه الكوفيون صحيحاً، من هذا التوسع:-

أ- التوسع في جواز بعض المسائل: أجاز الكوفيون بعض المسائل التي اعتمدت علي السماع، وقد ذكر ابن الأنباري في إنصافه سبع مسائل وافق الكوفيين فيها من مائه وواحد وعشرين مسألة، وكذلك الطنطاوي وافقهم في أربع مسائل أخري، ذكرها في كتابه "نشأه النحو" وهي كما يلي :-

1- عدم لزوم إبراز الضمير مع الوصف الجاري خبراً علي غير ما هو له، واستشهدا بقول الأعشى[40]:-

وإن امرأً أسرى إليك ودونه   من الأرض موماةٌ وبيداء سملقُ

لَمَحْقوقةٌ أن تستجيبي لصوته   وأن تعلمي أن المعان موافقٌ

فترك إبراز الضمير، ولو برزه لقال محقوقه أنت[41] .

2- صحة الفصل بين المتضايفين في السعة بمنصوب المضاف مفعولاً به، أو ظرفاً، أو قسماً، ومن الشواهد علي الفصل بالمفعول به، قراءة ابن عامر : "وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادِهم شركائهم " الأنعام 137 .

3- عمل اسم المصدر عمل فعله، وشواهده أكثر من أن تحصي ومنها قول القطامي[42] :

أكفراً بعد الموت عني   وبعد عطائك المائة الرتاعا

38- ينظر: الدراسات اللغوية في العراق:148، والنحو العربي ومناهج التأليف والتحليل: 443 .

39- النحو مناهج التأليف والتحليل: 458، وابن مضاء القرطبي جهوده النحوية: 148 .

40- البيتان من البحر الطويل، وهي للأعشى في ديونه: 273 .

41- الإنصاف في مسائل الخلاف: مسألة 8 .

42- البيت من البحر الوافر، قائله القطامي في ديوانه: 37 .

4- جواز العطف علي الضمير المخفوض بدون عود الخافض في السعة قرأ حمزة وغيره، قوله تعالى :" واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ"[43] .

ب- التوسع في جواز بعض التراكيب:-

إن التوسع في التراكيب بالنسبة للعربية جائز إذا كان له سند من سماع أو قياس أو رواية، وفي ذلك إثراء للغة، ولذلك فقد أجاز البصريون تراكيب، ومنعها الكوفيون والعكس، ومن هذه التراكيب ما يلي:

1- أجاز البصريون تقديم الخبر المفرد أو الجملة علي المبتدأ .

2- أجاز الفراء و الأخفش تقديم الحال علي عاملها إذا كان ظرفاً أو، جاراً ومجروراً، واحتجا بقراءة الحسن "والسموات مطويات بيمينه "[44] .

3- أجاز الكوفيون أن يتقدم التمييز إذا كان العامل فيه فعلاً منصوباً، واستدلوا بقول الشاعر[45] :

أتهجر سلمي بالفراق حبيبها وما كان نفساً بالفراق تطيب

واستدلوا بقول الشاعر[46] :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ج ــ إضافة بعض الأدوات في الدراسات النحوية :

أضاف الكوفيون بعض الأدوات الجديدة نتيجة تتبعهم للهجات القبائل التي أهملها البصريون، أو التي لا تتفق مع أقيستهم العقلية المطردة[47] وفي هذا إثراء للغة .

فمن الأدوات التي أضافوها ما يأتي :

1- أضافوا إلي أدوات الجزم أداة جديدة هي "مَهْمَنْ" واحتجوا بقول الشاعر[48] :

43- سورة النساء: 1 .

44- سورة الزمر: 67 .

45- البيت من الطويل، وهو للفرزدق في ديوانه: 217 .

46- البيت من البحر الطويل، وهو للمخيل السعدي في ديوانه: 290 .

47- مدرسة الكوفة:317 .

48- شرح الرضي على الكافية: 252/2، وشرح المفصل: 8/4

أماويَّ مهمن يستمع في صديقه أقاويل هذا الناس ماويَّ يندم

2- وأضافوا إلي أدوات النصب أداة جديدة هي "كما" و وافقهم المبرد من البصريين واستدلوا علي ذلك بقول الراجز

لا تظلموا الناس كما لا تظلموا[49]

3- وأضافوا إلي أدوات الشرط "أن" المفتوحة وأعطوها حكم "إن" المكسورة الهمزة وأخذ به ابن هشام .

أما الأدوات التي أضافها الكوفيون لها معانٍ جديدة فهي ما يأتي :

1- أضافوا إلي ما عرفه البصريون في "لعل" وهو الترجي والتوقع معنيين آخرين :

الأول: أن تكون للتعليل، وقد أثبته جماعة منهم الكسائي، وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشي﴾[50] .

الثاني :- الاستفهام، وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿ وما يدريك لعله يزكي﴾[51] .

2- أضاف الكوفيون إلي معاني "لو" معناً جديداً وهو أن تكون مصدرية، وتكون بمعنى " أن " لكنها لا تنصب، وأكثر وقوع "لو" مصدرية بعد "ود، ويود" وذلك كقوله تعالى ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون﴾[52].

3- أضافوا إلى معاني "هل" أن تكون بمعنى "قد" فلا تأتي بمعني "قد" إلا مع الفعل ؛ لأن قد من الأدوات التي لا تدخل إلا مع الفعل، والذي أثبت لها هذا المعني هو الكسائي والفراء، وقد فسروا به قوله تعالى ﴿ هل أتى علي الإنسان حيناً من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾[53] . أي قد أتى، وقد وافقهما من البصريين المبرد و الزمخشري[54] .

د- جواز تعدد وجوه الأعاريب :.

---

[49]- شرح الرضي على الكافية: 240/2 .

[50]- سورة طه: الآية: 44 .

[51]- سورة بس: الآية: 3 .

[52]-سورة القلم: الآية: 9 .

[53]- سورة الإنسان: الآية: 4 .

[54]- المغني: 265/1، ومدرسة الكوفة: 323 .

إن تعدد الوجوه الإعرابية من أهم إيجابيات الخلاف بين البصريين و الكوفيين، فإذا لم يوافق في الأخذ برأي الكوفيين أخذ برأي البصريين، ثم إن التركيب الذي يحتمل وجوهاً متعددة من الإعراب أبلغ من التركيب الذي يحتمل وجهاً واحداً، وهذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني[55] .

هـ- التوسع في تعدد الأقوال في آي القرآن :

كان للخلافات النحوية أثر كبير في كثرة التفاسير القرآنية والكتب الفقهية، وبخاصة في تعدد الأوجه الإعرابية في تفسير الآيات القرآنية؛ لأن النص القرآني يحتمل وجوهاً متعددة المعاني، وكل وجه من الخلافات ربما يتجه لمعنى من هذه المعاني؛ إذ لا يخفي علي دارس العربية الارتباط الوثيق بين المعني والحالة الإعرابية، ومن الواضح أنه كلما تعدد إعراب الكلمة، تعدد المعنى الواحد والعكس؛ لأن النحو نشأ لفهم القرآن الكريم .

ومن ذلك كله يتضح أن معظم أسباب الاختلاف في أحكام الفروع الفقهية، وبعض توجيهات الآيات القرآنية قائم على أسس نحوية، وقد أشار إلي ذلك الزمخشري في قوله: "ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائله مبنياً على علم الإعراب، والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه و الأخفش والكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين"[56] .

وعليه، فإن تعدد الوجوه الإعرابية يترتب عليه تعدد الوجوه الدلالية، وعليه تظهر وجوه متعددة في فهم الآية القرآنية الواحدة .

10- ظهور البحث في أصول النحو :

كان البحث في أصول النحو أيام البصريين والكوفيين عبارة عن آراء متفرقة من مدرستين، فكان لكل منهما آراء من الرواية أو السماع أو القياس تتمسك بها دفاعاً عن مذهبها النحوي ولم يكن آنذاك مرجع يعتمد عليه إلا ما اعتمدته كل مدرسة في منهجها التي قامت عليه، ومن المصنفات التي ظهرت في أصول النحو ما يلي :

1- "في أصول النحو" لأبي بكر ابن السراج (316هـ) ويعد أول من وضع كتاباً في أصول النحو بعد عصر المدرستين .

2- "الإيضاح في علل النحو" لأبي القاسم الزجاجي، وهو من الكتب التي دوِّنت مبكراً في أصول النحو.

55- من قضايا اللغة، للأستاذ علي النجدي بتصريف يسير: 84 .

56- المفصل لعلم العربية للزمخشري: 3 .

3- "لمع الأدلة" و "الإغراب في قواعد الإعراب" لابن الأنباري، وقد ألفهما بعد اكتمال النحو ونضجه على أيدي البصريين والكوفيين .

4- "اللباب في علل البناء والإعراب" للعكبري .

5- "نتائج الفكر" للسهيلي .

6- "الاقتراح في أصول النحو" للسيوطي الذي قال في مقدمته (إنه بالنسبة لأصول النحو كأصول الفقه بالنسبة للفقه...)

والملاحظ أن أكثر من كتب في أصول النحو هم ممن كتبوا في مسائل الخلاف كالزجاج والعكبري وابن الأنباري، وهذا يؤكد أن صلة أصول النحو بالخلاف صلة وثيقة .

الآثار السلبية للخلاف في الدرس النحوي

لقد ذكر بعض الدارسين عدداً من الآثار السلبية للخلاف بين النحاة منها :

1- تغير الروايات وكثرتها :

كان لتغيير الروايات وكثرتها أسباب كثيرة، منها الرواة غير الموثوق برواياتهم كخلف الأحمر، وحماد الرَّاوية، ومنها ميل العرب إلي المعنى يجعلونه أساسياً، وقد يروون الأثر بالمعنى، ومنها أن الراوي قد يروي قصيدة فتصرف في بعض ألفاظها، أو يرويها طبقاً للهجته وطبيعته التي درج عليها في النطق والأداء، غير أن هناك سبباً آخر وهو احتدام الخلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، وكان الخلاف بينهما أحياناً يأخذ شكل الصراع والتنافس، وهذا يجعل قيام إحدى المدرستين تغيير رواية المدرسة الأخرى أمراً محتملاً، وذلك لتسلم لها القاعدة التي ذهب إليها[57] .

2- اضطراب الآراء وعدم الوقوف علي الحقيقة :

إن اضطراب الآراء النحوية وكثرتها كانت نتيجة للخلاف بين المدرسين البصرة والكوفة .

3- تعدد التقدير والتخريج :

والسبب وراء ذلك في كتب النحو، هو التمسك بالرأي، ومحاولة إبطال حجة الطرف الآخر، وأن الذي ساعد على ذلك هو مرونة اللغة .

[57]- القواعد النحوية، لعبد الحميد حسن: 209- 211 .

4- التوسع في الجواز :

وهذا الأثر ناتج عن سلطان القياس والصنعة، وانتقال البحث اللغوي من واقع المتكلمين إلي قضايا الفعل، ومن هنا اتسعت ظاهرة الحوار وفشت؛ لأن أقوالاً كثيرة يسندها تجويز العقل واحتمالاته، حتى قال البعض "عجبت للنحوي كيف يخطئ" ومذهب الكوفيين يتحمل من ذلك كثيراً، لأنه هو الذي أخذ بالتوسع في مبدأ القياس والتمسك بشدة بكل مسموع، حتى ولو كان الشاهد يتيماً، يقيمون عليه قاعدة، ولذلك قال رئيسهم الكسائي :

إنما النحو قياس يتبع   وبه في كل أمر ينتفع

فالمطلع علي مسائل الخلاف في كتبها، أو في كتب النحو العامة، يجد أن البصريين يمنعون ولا يجيزون إلا في القليل، وأن الكوفيين يجيزون في الكل تقريباً .

5- المبالغة في الصناعة والبعد عن الواقع اللغوي :

إن النحويين من البصريين والكوفيين بالغوا في صناعة النحو وبعدوا في خلافاتهم عن الواقع اللغوي للمتكلمين، وذلك لمعرفة بعضهم بالمنطق الأرسطي، ولأن بعضهم كان يعرف الفلسفة وعلم الكلام[58] .

6- الاهتمام بالفلسفة والمنطق والتفكير النظري :

أثر المنطق الأرسطي بشكل كبير علي الدراسات النحوية، وهذا التأثير لم يكن إيجابياً ولكن كان سلبياً، فالنحو العربي أصبح ضرباً من ضروب الفلسفة والمنطق، خاصة عند البصريين؛ لأن البصريين كانوا يعتدون كثيراً على الأساليب الفلسفية والمنطقية في جدالهم وحوارهم لإثبات قواعدهم النحوية، حتى سمُّوا " نحاة المنطق " ومشاركة الكوفيين في جانب قليل من هذه المقاييس والدراسات .

أما تأثير هذه الدراسات الفلسفية والمنطقية على الدرس النحوي، فكان واضحاً في :

1- ظهور القياس وهو أحد أصول النحو العربي .

2- وفي الحدود والتعريفات، التي شملت كل أبواب النحو تقريباً .

3- وجود التقسيمات العقلية البعيدة عن التقسيمات الاصطلاحية للنحو .

4- وجود العلل والإسراف فيها كماً وكيفياً .

---

[58]- انظر: القياس في النحو العربي، للدكتور صابر بكر أبو السعود: 159، 199 .

5- كثرة العوامل، وهي نوع من العلل، أوجده النحاة ليسوغوا الواقع الإعرابي والنظمي للكلام العربي .

وهذا كله نتج عنه تعدد الآراء، واشتداد الصراع العقلي، حتى ترى الرأي وضده في المسألة الواحدة، وامتزجت قواعد النحو باصطلاحات المنطق وعلل الفلسفة، وقد ظهرت دراسات حديثة برَّأت النحو وعلماءه الأوائل من ذلك .

يقول بعض أهل الأدب: كنا نحضر عند ثلاث مشايخ من النحويين فمنهم من لا نفهم من كلامه شيء، ومنهم من نفهم من كلامه البعض ولا نفهم البعض الآخر، ومنهم من نفهم جميع كلامه، فأما من لا نفهم من كلامه شيء فهو أبو حسن الرماني، وأما من نفهم بعض كلامه ولا نفهم البعض الآخر فهو أبو علي الفارسي، وأما من نفهم كلامه فأبو سعيد السيرافي[59] .

7- تخطئة بعض القراءات :

هذه نتيجة من نتائج التمسك بالقياس وهو عدم اعتراف البصريين بظاهرة الآيات والقراءات التي استشهد بها الكوفيون، فالكوفيون استشهدوا بآيات قرآنية لم يأخذ بها البصريون وأوَّلوها، أو نسبوها إلي الضعف والشذوذ، منها على سبيل المثال :

قراءة حمزة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ ﴾[60] بخفض الأرحامِ عطفاً على الضمير المخفوض في "به" فالبصريون منعوا العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض تمسكاً بالقياس، فالجار والمجرور متصلان، فكأنك عطفت الاسم على الحرف الجار، وعطف الاسم على الحرف لا يجوز، وأولوا هذه الآية بتأويلين :-

الأول: إن الأرحام مجرورة بالقسم، وجواب القسم ، ﴿ إن الله كان عليكم رقيباً ﴾[61] .

التأويل الثاني: أن "الأرحام" مجرورة بياء مقدرة غير الملفوظ بها، وتقديره وبالأرحام، فحذفت لدلالة الأولي عليها[62] .

ومن القراءات قراءة ابن عامر ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادَهم شركائِهم ﴾[63] بنصب أولادَهم وجر شركائِهم ففصل بين المضاف والمضاف إليه بقول "أولادهم " ومنع البصريون الفصل بين المضاف والمضاف إليه

59- نزهة الألباء ترجمة الرماني .

60- سورة النساء: الآية: 1 .

61- سورة النساء: الآية: 1 .

62- الإنصاف في مسائل الخلاف: المسألة: 65 .

63- سورة الأنعام: الآية: 137 .

بغير الظرف والجار والمجرور، قائلين: لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة شيء واحد، وقالوا إن هذه القراءة واهية ووهم من القراء[64] .

ومن القراءات قراءة جعفر ﴿ ليُجزي قوماً بما كانوا يكسبون ﴾[65] ببناء "يجزي" للمجهول ونصب "قوماً" ويكون نائب الفاعل المصدر المقدر أي يجزى الجزاء، أو الجار والمجرور .

ولقد احتج بهذه القراءة الكوفيون و الأخفش على جواز إنابة غير المفعول على الفاعل، وهو مالا يجزه البصريون، فقد قال ابن الأنباري: ومن قرأ "ليُجزي" نصب "قوماً" على تقدير: ليجزي الجزاء قوماً، وهذا لا يستقيم على مذهب البصريين؛ لأن المصدر لا يجوز إقامته مقام الفاعل مع مفعول صحيح[66] .

8- التحامل على فريق لصالح الفريق الآخر:

تحامل بعض القدماء وبعض المحدثين علي الكوفيين لصالح البصريين، أما القدماء فكان منهم ابن الأنباري، رغم أنه قال أنه اعتمد في ما ذهب إليه علي سبيل الإنصاف لا التعصب والإسراف لكنه قد تحامل علي الكوفيين ولم يؤيدهم إلا في سبع مسائل من مجموع المسائل التي اختلفوا فيها وهذه المسائل هي :

1- المسألة العاشرة "اختلافهم في العامل في الاسم المرفوع بعد لولا" .

2- المسألة الثامنة عشر: "في تقديم خبر ليس عليها " .

3- المسألة السادسة والعشرون: "في لام لعل الأولى، زائدة أو أصلية " .

4- المسألة السبعون: في منع صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر " .

5- المسألة السابعة والتسعون: "في هل يقال : لولاي ولولاك وموضع الضمائر" .

6- المسألة الواحدة بعد المائة: "في مراتب المعارف" .

7- المسألة السادسة بعد المائة: "هل يوقف بنقل الحركة علي المنصوب المحلى بأل الساكن ما قبل آخره.

ومن مظاهر تحامله رد معظم الأبيات التي أتى بها الكوفيون إلى الضرورة حتى ولو كانت كثيرة .

64- الإنصاف في مسائل الخلاف: المسألة: 60 .

65 – سورة الجاثية: الآية: 14 .

66- البيان في إعراب غريب القرآن، لابن الأنباري:365/2 .

ومن الذين تحاملوا علي الكوفيين العكبري، ففي كتابه "التبيين عن مذاهب الكوفيين والبصريين " لم يؤيد الكوفيين إلا في مسألة واحدة وهي المسألة الخامسة والخمسون "زيادة اللام الأولى في لعل"

ومن الذين تحاملوا علي الكوفيين ابن نور شوقي ضيف في كتابه "المدارس النحوية، ومن قوله: ((وقد وقف الكوفيون من هذا البناء العلمي المحكم موقفا يدل علي نقص فهمهم))[67] .

ويعيب الأستاذ أحمد أمين على البصريين أن يخطئوا الفرزدق مع أنه عربي صميم، و إهدار الشواذ، وحمد للكوفيين احترامهم كل ما جاء عن العرب ويجيزون للناس استعماله ولو كان يخالف القواعد العامة[68] .

وأيضاً ابن مالك قد وافق البصريين في أغلب المسائل، ولكنه كان يخالفهم ويوافق الكوفيين في بعض المسائل .

وقد فعل ذلك من المحدثين الشيخ محمد الطنطاوي، فقد وازن بين المذهبين وفضل مذهب البصريين، ولكنه أنصف الكوفيين[69] .

9- تغيير بعض المصطلحات:

قام الكوفيون بتغيير بعض المصطلحات، وغرضهم في ذلك هو تكوين مدرستهم على غرار مدرسة البصرة

ومن المصطلحات التي زادوها على سبيل المثال لا الحصر:

الفعل الدائم، فقد زادوه في أقسام الكلمة، ويعنون به اسم الفاعل، وغيروا من ألقاب الإعراب، فسموا الجر خفضاً، وغيروا في بعض المعاني، فسموا النفي جحداً، وغيروا في تسمية بعض الضمائر، فسموا ضمير الفصل عماداً، وسموا ضمير الشأن الضمير المجهول .

وفي تغيير المصطلحات خلط في أذهان الدارسين يظهر ذلك الخلط في جعلهم ألقاب الإعراب للبناء، فالمبني على الضم يقولون إنه مرفوع، والمبني على السكون يقولون إنه مجزوم[70] .

وبسبب هذا الخلط وعدم الدقة لم تبق معظم هذه المصطلحات على ألسنة النحاة في العصور التالية[71] .

67- المدارس النحوية: 161 .

68- ينظر: القياس في النحو العربي: 158 .

69- ينظر: نشأة النحو:144 .

70- ينظر: مدرسة الكوفة للمخزومي: 315 .

71- ينظر: المدارس النحوية: 167 .

10- غبن العلماء :

بسبب قرب المنافس من الخلفاء والأمراء، الذين كانوا يقربون بعض العلماء لتأديبهم وتأديب أبناءهم، لذلك لم يكن الغبن بسبب الخلاف في وجهات النظر، ولكن بسبب قرب المنافس من السلطة، وذلك يجعل الحاضرين يميلون لمن هو أقرب من السلطان منزلة، وخير دليل على ذلك هو المسألة الزنبورية التي جرت بين سيبويه والكسائي، وحدث ما حدث فيها، وغُلِب سيبويه علي أمره بتدبير من وزير الرشيد يحي بن خالد البرمكي والكسائي .

الخلاصة

ينشأ الاعتراض من مخالفة اللاحق للسابق في رأي أو نقل في نسبة أو استدلال أو غير ذلك، ولعل من أوضح الاختلاف في الساحة النحوية الخلاف بين البصريين والكوفيين، ومن أشهر الكتب في ذلك الإنصاف في مسائل الخلاف. والمقصود بالاعتراض في هذا البحث هو اعتراض وإنكار النحاة لبعض إعراب الذكر الحكيم، بألفاظ معينة يذكرها المعترِض على المعترَض عليه لأسباب معينة .

إن الأسباب التي أدت إلى الخلاف والاعتراض بين النحويين واستمرت طيلة فترة التأليف والتصنيف قديما وحديثا فهي أسباب علمية ذات علاقة بمادة اللغة وطبيعة هذا العلم وأدلته الأصلية والفرعية، وما خرج عن ذلك كالأمور العقدية أو المذاهب الشرعية، فتلك مسائل قليلة شد فيها الرأي المخالف، ولم يكن لها تأثير كبير في توجيه المسألة.

أما أهم الأسباب الداعية إلى الاختلاف فهي: أولا: اختلاف النحويين في النظر إلى أصول الصناعة النحوية، من سماع وقياس . ثانيا: تعدد اللهجات العربية واختلافها، فضلا عن أنها لم تكن على درجة واحدة من الفصاحة . ثالثا: تفاوت النحويين في الوصول إلى الأدلة ولاسيما السماعية منها. ثالثا: تفاوت النحويين في الوصول إلى الأدلة ولاسيما السماعية منها . رابعا: انصراف النحويين عن العامل الزمني في الاحتجاج . خامسا: تفاوت العلماء في إمكاناتهم الخاصة في طريقة التفكير والقدرة على الاستيعاب والتحليل والاستنباط، والحفظ والاطلاع . سادسا: اختلاف النحويين في موقفهم من القراءات القرآنية لاسيما الشاذة منها . سابعا: اختلاف النحويين في الاستدلال بالحديث النبوي الشريف . ثامنا: تأثر كثير من النحاة والصرفيين بالمنطق والجدل، وكذلك اختلافهم في توجيهاتهم السياسية والمذهبية . تاسعا: الاختلاف في فهم النصوص وتفسيرها . عاشرا: التنغيم، وكيفية النطق أو الأداء.

لقد نتج عن الخلاف بين النحاة آثار في ساحة الدرس النحوي، وهذه الآثار قد أفادت الدرس النحوي وتركت بصمات واضحة المعالم على اللغة العربية عامة والنحو بصفة خاصة، وهذه الآثار منها ما ظهر في زمن البصريين والكوفيين، ومنها ما ظهر بعد انتهاء عهدهم . ومن هذه الآثار الايجابية في عصر المدرستين البصرية والكوفية : أولاً ظهور المناظرات واللقاءات النحوية . ثانياً المجالس اللغوية . ثالثاً ردود النحويين بعضهم علي بعض .

ومن الآثار الايجابية بعد انقضاء عهد المدرستين: 1- ظهور نحاة جدد وتعدد الاتجاهات النحوية بسبب هدوء حدة الخلافات في أوائل القرن الرابع الهجري . 2- ظهور المدرسة البغدادية، وانتشار ظاهرة الانتخاب والانتقاء وهي تقوم بدارسة رأي البصريين والكوفيين وترجح بينهما . 3- انتشار الدراسات النحوية في أمصار إسلامية جديدة . 4- ظهور مصنفات للخلاف بين المدرستين، فقد كان من أبرز الخلاف بين النحاة، هو ظهور المصنفات التي اهتمت بالخلاف ومسائله، سواء ظهرت أيام المدرستين، أو بعدهما . 5- كثرة كتب النحو . 6- اكتمال صرح النحو والصرف . 7- الاجتهاد في طلب علم النحو . 8- تنوع مناهج التأليف وتيسير النحو . 9- التوسع في القواعد . 10- ظهور البحث في أصول النحو .

أما الآثار السلبية فقد ذكر بعض الدارسين عدداً من الآثار السلبية للخلاف بين النحاة منها :

1- تغير الروايات وكثرتها . 2- اضطراب الآراء وعدم الوقوف علي الحقيقة . 3- تعدد التقدير والتخريج . 4- التوسع في الجواز . 5- المبالغة في الصناعة والبعد عن الواقع اللغوي . 6- الاهتمام بالفلسفة والمنطق والتفكير النظري . 7- تخطئة بعض القراءات . 8- التحامل على فريق لصالح الفريق الآخر . 9- تغيير بعض المصطلحات . 10- غبن العلماء .

فهرس المصادر والمراجع

– ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار .

–ابن قدامة، موفق الدين ابن قدامة، المغني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، 1997م .

– ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى .

– ابن يعيش، موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب بيروت .

– أمين، أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1998م.

– الأزهري، أبو منصور محمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروث، الطبعة الأولى 2001م .

– الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن القرشي الأصفهاني، كتاب الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية .

– الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، تحقيق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة السابعة، 1983م .

– الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، دار الفكر القاهرة .

– الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار الأردن، الطبعة الثالثة، 1985م .

– الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: طه عبد الحميد طه، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . – الجوهري، معجم الصحاح، بيروت، دار المعرفة، 2008م .

– البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي، خزان الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1989م .

– الجرجاني، الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، الفيصلية، مكة المكرمة .

– جواد. جواد علي1993م. *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. ط2

– الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد القادر عطار، الطبعة الثانية، 1979م دار العلم للملايين .

– الحموي، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1993م .

– الخشاب، أبو محمد الخشاب، المرتجل، تحقيقك علي حيدر، دمشق 1972م .

– الرضي، ابن الحاجب، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: عبد العالي سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى

– الزبيدي، سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، دار الشروق، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1997م .

– الزبيدي، محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر، طبقات اللغويين والنحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف 1984م .

– الزاكي، محمد آدم الزاكي، النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم، رسالة ماجستير، 1985م .

– الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، أمالي الزجاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجبل، الطبعة الثانية 1987م .

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: فخر صالح قداره، الطبعة الأولى، عمان 2004م .

- زنكنّة. شيماء رشيد محمد. 2012م. الخلاف النحوي في بنية النص القرآني في ضوء الدراسات الحديثة. رسالة دكتوراه: جامعة بغداد

- عبد الثواب. رمضان. 1999م.فصول في فقه اللغة. الطبعة السادسة. القاهرة: مكتبة الخانجي

- الشرطاوي، معاد الشرطاوي، ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، دار محدلاوي، عمان الأردن، 1988م .

- ضيف، شوقي ضيف، المدارس النحوية، الطبعة السابعة، دار المعارف، القاهرة، 1968م .

- الطنطاوي، محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف 1995م .

- العبيدي، شعبان عوض محمد العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف، منشورات جامعة قاريونس، 1989م .

- الفرزدق، ديوان الفرزدق، قدم له وشرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، 2006م .

- القفطي، علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، عالم الكتب القاهرة 1989م .

- القميشان. ناصر محمد عبدالله. 2009م. الاعتراض النحوي عند ابن مالك واجتهاداته. دار الكتب الوطنية: أبو ظبي.

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت .

- المخزومي، مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، الطبعة الثانية، القاهرة مصر، 1958م

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004م .

